فِقْه السُّنَن الإلهية والثقافة السُّنَنيّة

عزمي طه السيد أحمد*

الملخص

يهدف البحث إلى تعرّف حقيقة السُّنن الإلهيّة، وفهمها فهماً دقيقاً وعميقاً وفْق جوانبها المتعدّدة. والسنن الإلهيّة: هي منظومة من النّواميس، التي وضعها الله سبحانه وتعالى، وقدّرها تقديراً في مجالات ثابتة، ومطّردة، ومتكاملة، ومتناسقة؛ لتكون هداية للناس وعِبَراً؛ ولكي تسير الحياة بكلّ جوانبها، وفْقاً لهذه السُّنن دون إكراه.

وتضمّن البحث جزأين مترابطين، هما: نظري، ويُقصد به تعرّف -قدر الطاقة- حقيقة السُّنن الإلهية، الـمُعبَّر عنها بـ"فِقْه السُّنن الإلهيّة". والثاني عملي، هدفه تطبيق الجزء النّظري من الثّقافة السُّننيّة في الواقع المعيش.

وقد وصل البحث إلى الفصل بين سنن الكون الطّبيعيّة وسنن الحياة الإنسانيّة. كما أكّد ترابط السّنن الإلهيّة وتكاملها؛ لفهم آليات عملها في حياة الناس.

كلمات مفتاحيّة: السُّنن الإلهيّة، فِقْه السُّنن، الثّقافة السُّننية، الثّبات، الاطّراد، الاتّساق، التّكامل.

* دكتوراه في الفلسفة الإسلامية، أستاذ جامعي في عدد من الجامعات الأردنية. البريد الإلكتروني: abutaha.azmi@gmail.com

تم تسلُّم البحث بتاريخ 29/ 8/ 2020م، وقُبِل للنشر بتاريخ 1/ 9/ 2021م.

أحمد، عزمي طه السيد (2023). **فقه السُّنَن الإلهية والثقافة السُّنَنيّة**، مجلة "الفكر الإسلامي المعاصر"، مجلد 29، العدد 105، 129-164. DOI: 10.35632/citj.v29i105.7723

كافة الحقوق محفوظة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي 2023 ©

مقدمة

الحمد لله خالق كل شيء بنظام وتقدير، والحمد لله ربِّ كل شيء، الذي لم يترك خَلْقه أجمعين دون رعاية وتربية وهداية، والصلاة والسلام على أنبياء الله جميعاً، وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته ومَنْ سار على هُداه، وبعدُ؛

فإنَّ عنوان هذا البحث يتألَّف من جزأين مترابطين؛ الأوَّل: **نظري**، وأعني به تعرُّف -قَدْر الطاقة- حقيقة السُّنَن الإلهية، الـمُعبَّر عنها هنا بـ "فِقْه السُّنَن الإلهية". والثاني: **عملي**، هدفه تطبيق الجزء النظري في الواقع الـمَعيش، وأعني به "الثقافة السُّنَنية".

وربط المعرفة العلمية وتأسيسها على المعرفة النظرية هو دَأْبُ العلماء والفلاسفة والحكماء؛ ذلك أنَّ العمل إذا لم يكن مُستنِداً إلى عِلْم نظري؛ أيْ على حقائق، فإنَّه سيكون خبط عشواء، قلَّما يكون صائباً، وإنْ أصاب مَرَّةً فبالمصادفة البحتة والعمياء التي لا يُبنى عليها نتائج يوثَق بها، ويُنتفَع منها.

ويُؤكِّد هذا المعنى فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي (185هـ-256هـ) في قوله: "...؛ لأنَّ ذوي الحكمة إذا أرادوا أنْ يفعلوا شيئاً قدَّموا قبله النظر" (الكندي، 1987، ص122).

وفي هذا البحث سنتكلَّم عن سُنَن أُضيفت إلى الله سبحانه وتعالى. وعليه، سيكون البحث عن حقيقة هذه السُّنَن في كلام الله سبحانه وتعالى الذي لم يلحقه تغيير أو تحريف، وهو القرآن الكريم؛ إذ هو واضعها، والـمُخبِر بها، وفيما صَحَّ من سُنَّة نبيِّه الخاتم؛ إذ هي تفصيل وبيان للقرآن الكريم. ولن يكون هذا البحث في كلام البشر إلّا أنْ يكون توضيحاً لفهم كلام الله سبحانه وتعالى، وكلام رسوله الخاتم محمد ﷺ، ولكنَّنا قد نستأنس بما وصل إليه الإنسان من علوم مختلفة، نستعين بها لفهم ما ورد عن هذه السُّنَن في كتاب الله سبحانه وتعالى، أو في صحيح سُنَّة رسوله ﷺ، أو لتعرُّف أمثلة تطبيقية عليها دون أنْ نجعلها مصدراً أو مرجعاً بديلاً عن القرآن الكريم.

إنَّ أهمية تعرُّف حقيقة السُّنَن الإلهية وفهمها فهماً دقيقاً وعميقاً له جوانب مُتعدِّدة، أهمُّها: اشتمالها على العِبَر، وإسهامها بتطبيق هذه السُّنَن على أرض الواقع؛ ما يؤدّي إلى تحقيق خير الإنسان -فرداً، وجماعةً- في هذه الحياة الدنيا أوَّلاً، ثمَّ في الآخرة، بوصف ذلك نتيجةً وجزاءً لتطبيقه سُنَن الله سبحانه وتعالى، التي هي في جوهرها هداية له؛ إذ تُبيِّن له كيف يتعامل في حياته هذه مع الوجود في جميع أجزائه؛ أيْ مع الخالق والمخلوقات. وحين يتمُّ ذلك بناءً على فِقْه هذه السُّنَن (معرفة حقيقتها)، فإنَّ الإنسان سيُحقِّق المهمة التي انتدبه الله لها؛ أي الخلافة في الأرض التي تتمُّ بعمرانها، وسيُحقِّق -في الوقت نفسه- الغاية التي خُلِق من أجلها؛ أي عبادة الله سبحانه وتعالى؛ هذه العبادة التي فيها خير الإنسان، وتكميل وجوده وكيانه وفطرته.

إنَّنا نأمل أنْ يُسهِم هذا البحث الـمُتواضِع، ولو بصورة يسيرة، إلى جانب الجهود البحثية الأُخرى لعدد من المهتمين بموضوع السُّنَن الإلهية، في زيادة الوعي بحقيقة هذه السُّنَن، وبالحاجة إلى تجسيدها في واقع الأُمَّة التي تداعت عليها الأُمم المعادية كتداعي "الأَكَلَة على قصعتها".

وإذا كان القرآن الكريم هو المرجع الأوَّل والأساس لتعرُّف السُّنَن الإلهية وفهمها، فإنَّ منهج ذلك يكون بتدبُّر القرآن الكريم، عن طريق الاستعانة بمناهج التفسير المختلفة، وعلى رأسها "التفسير الموضوعي"، واستقراء جميع الآيات القرآنية التي تحتوي على لفظ "سُنَّة" أو لفظ "سُنَن" والألفاظ المقاربة، بصورة صريحة مباشرة أو غير مباشرة؛ ما يُمكِّن من فهم هذه الآيات، والوصول من ذلك إلى بيان حقيقة السُّنَن الإلهية التي هي أشبه بأحكام عامة وقوانين ثابتة. وبطبيعة الحال، لا بُدَّ من الرجوع إلى السُّنَّة النبوية (الـمُبيِّنة والـمُفصِّلة والـمُفسِّرة للقرآن الكريم).

ويحتاج الباحث في موضوع السُّنَن الإلهية إلى منهج الاستنباط، ليستخرج المعاني الكامنة في النصوص القرآنية التي يَرِدُ فيها لفظ "سُنَّة" أو لفظ "سُنَن". ويُمكِن وصف هذا المنهج في المصطلح القرآني بـ"التدبُّر"، عِلْماً بأنَّ قدرة الباحثين على الاستنباط (التدبُّر) متفاوتة لأكثر من عامل، مثل درجة الاطِّلاع على العلوم المختلفة؛ اللغوية، والطبيعية، والإنسانية، والصورية.

ومن مُقدِّمات منهج الاستنباط (التدبُّر) النظرُ الذي أمرَنا به الخالق سبحانه في مثل قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ [آل عمران:137]. وهذا النظر هو بمنـزلة الملاحظة المقصودة، وهو يبدأ نظراً حِسِّياً يتمُّ بوساطته جمع معلومات، ثمَّ يعمل العقل علىٰ تأمُّلها واستنباط ما يَلزم من نتائج منها.

والـمُلاحَظ أنَّ عدداً من الباحثين والعلماء قد اهتمّوا بموضوع السُّنَن الإلهية خلال القرن الماضي، وقدَّموا في ذلك دراسات عديدة نافعة، استفاد منها الباحث هنا، الذي يرىٰ من المناسب الإشارة إلىٰ بعضها فقط؛ إذ يصعب حصرها جميعاً. من هذه الدراسات: (عرجون، 1971؛ هيشور، 1996؛ زيدان، 1992؛ البوطي، 2011؛ المغربي، 2007؛ كهوس، 2015؛ كهوس، 2010؛ عاشور، 2013).[1]

أولاً: فِقْه السُّنَن الإلهية

أشرْنا في المقدمة إلىٰ أنَّ هذا البحث يتألَّف من قسمين، هما: فِقْه السُّنَن الإلهية، والثقافة السُّنَنية.

وسنبدأ الحديث عن فِقْه السُّنَن الإلهية، فنقول بدايةً: الفِقْه لغةً هو الفهم والفطنة وحُسْن الإدراك. (مجمع اللغة العربية، 2004، مادة فِقْه) وهذا هو المعنىٰ العام الذي نقصده هنا، وهو ذو صلة وثيقة بالفِقْه في الشريعة وأمور الدين. ونُؤكِّد هذا المعنىٰ بالقول: الفِقْه عامةً هو الفهم الدقيق للموضوع الذي يُبحَث عنه، وهو المعرفة الصائبة -قَدْر الطاقة- لجميع ما يتعلَّق بماهيته وحقيقته من أمور، مثل: صفاته الذاتية[2] (الذاتيات)، وعِلَله الفاعلة والمادِّية والصورية والغائية، وعلاقاته بغيره من الأمور أو الأشياء الأُخرىٰ المقاربة، فإذا تمَّ للمرء أو الباحث معرفة جميع ما تقدَّم ذكره كان فقيهاً في ذلك الموضوع.

---

[1] للدكتور كهوس موقع مُخصَّص للسُّنَن الإلهية في شبكة الإنترنت.

وتوجد بحوث ودراسات عديدة غير ما ذُكِر هنا، ويُمكِن الوصول إليها باستخدام الطرائق المعتادة والطرائق الإلكترونية. وقد كفانا الدكتور عزيز البطيوي في كتابه الآتي كثيراً من الجهد في تتبُّع الأدبيات في موضوع السُّنَن الإلهية؛ إذ قدَّم عرضاً جيداً وافياً -إلىٰ حدٍّ كبير-، فنشكره علىٰ ذلك، ولا نجد أنَّ هذا البحث بحاجة إلىٰ تكرار (البطيوي، 2018، ص22-25).

[2] الصفة الذاتية لأمر أو شيء ما هي الصفة التي إذا زالت من الشيء لم يعد الشيء هو هو.

سنحاول في ما يأتي توضيح "فِقْه السُّنَن الإلهية" عن طريق تطبيق هذا الفهم؛ أيْ ببيان الأمور التي يحتاج إليها الفهم الدقيق لموضوع السُّنَن الإلهية.

مفهوم "السُّنَن الإلهية"

أ. المعنى اللغوي للفظ "سُنَّة"

أورد "المعجم الوسيط" خلاصة للمعنى اللغوي لِما ورد في معاجم اللغة العربية الرئيسة:[3] "السُنَّة: الطريقة، والسيرة حميدة كانت أو ذميمة." "وسَنَّ فلان السُّنَّة: وضعها. وكل مَنِ ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده فهو الذي سَنَّه." ويقال: "سَنَّ فلان طريقاً من الخير لقومه فاستنّوا به وسلكوه" (مجمع اللغة العربية، 2004، مادة سنن).

وجاء في "معجم مقاييس اللغة": "السين والنون واحد مُطَّرد، وهو: جريان الشيء واطِّراده في سهولة" (ابن فارس، د.ت، ج3، ص60).

وبوجه عام، فإنَّ معاني "السُّنَّة" في اللغة تشير إلى الطريقة الـمُتَّبَعة الـمُطَّردة في سهولة ويسر.[4]

ب. المعنى الاصطلاحي لِـ"السُّنَن الإلهية"

يُبحَث عن المعنى الاصطلاحي للسُّنَن الإلهية في كلام الله سبحانه وتعالى، ويُستنبَط منه. هذا الذي لم يُبدَّل أو يُحرَّف، وهو -كما هو معلوم- القرآن الكريم؛ ذلك أنَّ الله تعالى أنـزل القرآن الكريم فيه بيان لكل شيء. قال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: 89]. ثمَّ إنَّ مُنـزِّل هذا الكتاب الكريم هو واضع هذه السُّنَن في مخلوقاته ولها، فلا أحد غير الله -وهم لم يخلقوا شيئاً- يعلم حقيقة مخلوقاته كلها، والسُّنَن التي تسير عليها، ووَفقاً لها. قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14].

---

[3] من أهمها: **لسان العرب**، و**تاج العروس**، و**معجم مقاييس اللغة**.

[4] أُكرِّر الشكر للدكتور عزيز البطيوي؛ إذ كفانا هنا جهد البحث في معاجم اللغة عن المعنى اللغوي للفظ "سُنَّة"، وذلك في كتابه المشار إليه آنفاً. ونجد ثانيةً أنَّه لا حاجة بنا إلى تكرار هذا الجهد المبذول والميسور في هذا الكتاب وفي غيره، وإنْ كان جهد الباحث هنا وافياً -إلى حدٍّ كبير- في هذه المسألة (البطيوي، 2018، ص40-50).

وبحسب اطِّلاعنا على الأدبيات الكثيرة التي تختصّ بموضوع السُّنَن الإلهية، فقد رأَينا اجتهادات عديدة في تحديد موضوعها ومفهومها،[5] وكلها -في نظرنا- مفيدة للباحثين، لكنَّنا لن نستعرض هذه التعريفات جميعها، وإنَّما سنقدِّم التعريف الذي خلَصْنا إليه من النظر في هذه الأدبيات، ومن النظر في سياقات ورود لفظ "سُنَّة" ولفظ "سُنَن" في القرآن الكريم. وهذا التعريف ليس توفيقاً أو تلفيقاً من التعريفات المشار إليها، بل يوجد بينه وبين بعضها تقاطعات بطبيعة الحال.

وسنُقدِّم بين يدي هذا التعريف القول الآتي:

خلق الله سبحانه وتعالى الوجود بمَنْ فيه مِنْ مخلوقات بالحقِّ. والآيات في هذا المعنى كثيرة، منها: قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: 73]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: 27]، وقوله عَزَّ من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء: 16]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: 2].

فخَلْق الوجود بسماواته وأرضه وما بينهما لم يكن لعباً أو عبثاً بلا هدف أو غاية، وهذا كله نقيض الحقِّ. وخَلْق الوجود بالحقِّ يعني وجود نظام دقيق مُحكَم له غايته، وهذا النظام الدقيق للوجود لا بُدَّ أنْ يكون مُتَّسِقاً وغير مُتعارِض في أجزائه كلها، ولو كان خلاف ذلك لفسد نظام الكون، وواقع الحال الـمُشاهَد أنَّه لم يَفْسِد. قال الله سبحانه وتعالى مُؤكِّداً هذا النظام الكوني بمثال، هو حركة جِرْمينِ كبيرينِ في هذا الكون، ظاهرينِ لكل إنسان، وهما: الشمس والقمر، يقول سبحانه: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: 38-40]، وقال ﷻ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾﴾ [الرحمن: 5]؛ أيْ بحساب دقيق.

وقد أطلق القرآن الكريم على هذه الظواهر الكونية اسم الآيات؛ أي العلامات والشواهد والدلائل على وجود الله الخالق ووحدانيته، وذكَّرَنا بعددٍ منها. قال سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

[5] انظر عدداً كبيراً من تعريفات لفظ "سُنَّة" (تسعة وعشرون تعريفاً) لعلماء قدامى ومعاصرين (البطيوي، 2018، ص50-74).

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: 164]، وقال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 53]. وهذه الآية الكريمة تُبيِّن أنَّ الدلائل (الآيات) التي تدلُّ علىٰ وجود الله خالق كل شيء ليست في الكون الطبيعي فحسب، بل هي أيضاً ظاهرةٌ لكل مُتأمِّل في الإنسان والحياة الإنسانية. وهذه الآيات الإنسانية لها نظام دقيق يُحكِم حركتها، وقد سمّاها القرآن الكريم الـ سُّنَن (البطيوي، 2018، ص96–99).[6] ومن هنا، فإنَّنا سنقصر تعريفنا للسُّنَن الإلهية علىٰ هذا النظام الـمُتعلِّق بالحياة الإنسانية (الفردية، والجماعية، والحضارية).

وسنُقدِّم تعريفنا لمفهوم "السُّنَن الإلهية"، وهو:

"السُّنَن الإلهية هي منظومة من النواميس، وضعها الله الخالق، وقدَّرها تقديراً، فجاءت ثابتة، مُطَّردة، مُتكامِلة، مُتَّسِقة، وجعلها سبحانه أمثالاً، هدايةً للناس وعِبَراً؛ لكي تسير الحياة الإنسانية بكل جوانبها (الفردية، والجماعية، والحضارية) وَفقاً لها بلا إكراه، بحيث يؤدّي تطبيقها إلىٰ نتائج إيجابية فيها الخير، ويؤدّي إهمالها إلىٰ نتائج سلبية فيها الاضطراب والشَّرُّ."

وهذا التحديد لمفهوم "السُّنَن الإلهية" يتضمَّن معاني ودلالات عديدة، نرىٰ من المفيد بيانها، فنقول:

أوَّل ما يواجهنا في تعريف "السُّنَن" أنَّها منظومة، وهذا يعني أوَّل ما يعنيه أنَّ السُّنَن الإلهية مُتعدِّدة، وأنَّ لها نظاماً مُتَّسِقاً لا تعارض بين أجزائه ولا معاندة.

ثمَّ إنَّ هذه المنظومة مُؤلَّفة من عدد من النواميس (الناموس طريقة وشريعة)، وهي أشبه بالقانون، ولكنَّها ليست قانوناً بالمعنىٰ العلمي الشائع للقانون؛ فالقانون العلمي يُتوصَّل إليه بمناهج البحث الملائمة لموضوع القانون، وهو في العلوم الطبيعية قابل للتعديل أو حتىٰ التغيير. أمّا الناموس

[6] أكَّد البطيوي اقتصار لفظ "سُنَن" في القرآن الكريم علىٰ الحياة الإنسانية، وذكر أنَّ من أصحاب هذا الرأي أحمد حسن فرحات، ونحن هنا أخذْنا بهذا الرأي. انظر أيضاً (فرحات، 1999).

فيُطلَق على الطريقة الثابتة أو القاعدة التي وضعها الخالق سبحانه وتعالى للحياة الإنسانية، مُوضِّحاً حركتها التي تُحقِّق لها خيرها وكمالها.

إنَّ واضع هذه النواميس (السُّنَن) هو ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: 62]. وهذه الحقيقة الوجودية يَلزم منها كل ما حدث (ويحدث) في الموجودات (كلّ شيء)، وأوَّل ذلك طاعة المخلوقات للخالق طوعاً أو كرهاً؛ فالشيء الذي لم يكن موجوداً، ثمَّ أوجده موجِده، لا يستطيع بل لا يجوز له عقلاً وشرعاً أنْ يخرج عن طاعة موجِده إلّا إذا كان (هذا الموجِد له من لا شيء) قد وضع في أصل خِلْقته القدرة على الطاعة وعلى المعصية؛ ابتلاءً له، وتمحيصاً، واختباراً لحكمة قدَّرها هذا الـمُوجِد (الخالق)، وهو الذي بها عليم. وهذا المعنى -وأكثر منه- يستفاد من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [فصلت: 11]، وقوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ١٥﴾ [الرعد: 15]، وقوله سبحانه: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ٨٣﴾ [آل عمران: 83].

وإذا كان السجود والإسلام طاعة، فإنَّ الكون الطبيعي بسماواته وأرضه ومَنْ فيهنَّ مطيع لله الخالق سبحانه. والخالق سبحانه وتعالى أكَّد هذا المعنى في آية أُخرى، واستثنى من ذلك "كثيراً من الناس"، ولنا أنْ نتأمَّل قوله تعالى الواضح في هذه الآية الكريمة، قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ﴾ [الحج: 18]. فمخلوقات السماوات كلها مطيعة (تسجد) لله، ومخلوقات الأرض كلها مطيعة (تسجد) لله، باستثناء جزء غير قليل (كثير) من الناس. والجزء الآخر -وهو كثير أيضاً- مطيع (يسجد) لله؛ وتفسير ذلك بيَّنه الخالق سبحانه وتعالى، فهو خلق الإنسان باستعداد لفعل الخير أو الشر،[7] وخلق الموت والحياة امتحاناً وتمحيصاً، ليتبيَّن أيُّهم "أحسن عملاً."[8] ولكي يكون

[7] قال تعالى: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ١٠﴾ [البلد: 10].

[8] قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك: 1-2].

الامتحان (الابتلاء) عادلاً؛ فقد بيَّن لهم سبحانه وتعالىٰ الخير والشَّرَّ بطرائق مباشرة، وبأمثلة ممّا وقع للناس علىٰ مَرِّ التاريخ؛ أفراداً، وجماعاتٍ، وحضاراتٍ. ومن هذه الطرائق النواميسُ التي تحكم حركة الحياة الإنسانية، وذلك ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: 165]، وحتىٰ لا يقولوا يوم القيامة ويوم الحساب والجزاء ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: 172]، أو كنّا نجهل؛ فلا نُميِّز بين الخير والشر، واتَّبَعْنا ما كان عليه آباؤنا.[9]

والله سبحانه وتعالىٰ حين وضع هذه النواميس (السُّنَن) لم يكن ذلك لمصلحة له أو لخير ينتظره، تعالىٰ الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً؛ إذ له الكمال الـمُطلَق، فالله خالق كل شيء، ولا يحتاج إلىٰ شيء، بل الخَلْق بحاجة إليه. قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر: 15]. فكلُّ الناس هم الفقراء المحتاجون إلىٰ الله، وإنَّه سبحانه وضع هذه النواميس (السُّنَن)؛ ليراعيها الإنسان في جميع جوانب حياته، ويريد خيره في هذه الدنيا أوَّلاً، ثمَّ خيره في الآخرة بعد ذلك، ومَنْ يعرف خير الإنسان علىٰ وجه الحقيقة واليقين غير الذي خلق الإنسان؟ ولأنَّ الله سبحانه وتعالىٰ هو واضع هذه النواميس (السُّنَن)؛ فإنَّ خير الإنسان وكمالاته لا تتحقَّق بغير اتِّباع ما أرشده الله إليه، وطلب منه فعله.

وهذه النواميس (السُّنَن) حين نتأمَّلها نجدها وُضِعت علىٰ أحسن تقدير وأكمله في مُلاءَمتها للحياة الإنسانية، وقد أكَّد سبحانه وتعالىٰ ذلك لعباده في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: 2]. وتقدير الله تعالىٰ في كل ما خلق دالٌّ علىٰ حكمته وعِلْمه، وهو هداية للمخلوقات. قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣﴾ [الأعلىٰ: 2–3] (سنتعرَّف في ما يأتي كيف أنَّ السُّنَن التي وضعها الله تعالىٰ للإنسان هي في جانب منها هداية له).

إنَّ وضْعَ الله سبحانه "خالق كل شيء"، بمَنْ في ذلك الإنسان وحياته، سُنَناً للحياة الإنسانية، يَلزم منه أنْ يكون لهذه السُّنَن خصائص تعكس كمال واضعها في عِلْمه وحكمته وقدرته. وقد أشار تعريف "السُّنَن" الذي ذكرناه آنفاً إلىٰ أهم هذه الخصائص، وهي:

---

[9] نجد هذا المعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣﴾ [الأعراف: 172–173].

– الثبات: يعني ذلك أنَّ الناموس والطريقة في هذه السُّنَن يَصْدقان في كل المجتمعات والأحوال الإنسانية، وفي مختلف الأزمنة والأمكنة، بحيث إذا حدثت الأفعال التي هي بمنـزلة الـمُقدِّمات حدثت الأفعال التي هي النتائج. وقد وصف القرآن الكريم هذه الخصيصة للسُّنَن بأنَّها لا تتبدَّل، ولا تتغيَّر، أو تتحوَّل. قال سبحانه وتعالىٰ في آية واحدة بيَّنت الثبات، وأنَّه عدم التبديل وعدم التحويل: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلٗا﴾ [فاطر: 43]. وهذا الثبات الذي أكَّده المولىٰ تأكيداً قاطعاً في هذه الآية أكَّده سبحانه وتعالىٰ أيضاً في عدد آخر من الآيات الكريمة.[10]

ومن الأمثلة علىٰ ثبات السُّنَن الإلهية سُنَّةُ التغيير في الأقوام والمجتمعات. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: 11]. فالأفعال التي هي مُقدِّمات؛ بأنْ يُغيِّر القوم ما بأنفسهم من أفكار ومعتقدات سلبية تعقبها الأفعال التي هي النتيجة اللازمة من هذه الـمُقدِّمات؛ وهي أنَّ الله سيُغيِّر ما في هؤلاء القوم من أوضاع سلبية وسيِّئة؛ أي التي لا تُحقِّق لهم خيرهم وكمالهم علىٰ جميع المستويات، إلىٰ أوضاع إيجابية يتحقَّق لهم فيها خيرهم الدنيوي والأُخروي في آنٍ معاً.

وقريب من معنىٰ الثبات، ومتصل به معنىٰ:

– الاطِّراد: ثبات النواميس (السُّنَن الإلهية) –كما تقدَّم آنفاً– هو أنَّها تظلُّ هي من حيث المضمون، فلا يكون في كل يوم أو حِقبة سُنَّة جديدة مختلفة في الأمر الواحد. أمّا الاطِّراد فيعني وقوع التكرار في الأمر الواحد علىٰ النحو نفسه والهيئة ذاتها والنتائج عينها؛ فهو ثبات في اتصال النتائج بالـمُقدِّمات كلَّما تكرَّر الأمر. ومعرفة الثبات والاطِّراد في السُّنَن الإلهية تُسهِّل علىٰ الباحث الوصول إلىٰ توقُّعات يوثَق بها، سواء كان بحثه علىٰ مستوىٰ السُّنَن الـمُتعلِّقة بالأفراد، أو علىٰ مستوىٰ الجماعات، أو علىٰ مستوىٰ الحضارات، وغير ذلك ممّا سنُوضِّحه في فقرة تالية إنْ شاء الله.

وتُستنبَط من كلام الله سبحانه في كتابه الكريم خصيصة أُخرىٰ، هي:

[10] من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزاب: 62]، وقوله ﷻ: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا﴾ [الإسراء: 77].

– التكامل: يعني التكامل أنَّ هذه السُّنَن العديدة يُعاوِن بعضها بعضاً، ويسنده، ويعضده؛ لكي تُحقِّق معاً هدفاً واحداً. وهذا لا يتحقَّق في واقع الحياة الإنسانية إلّا إذا روعِيت جميع هذه السُّنَن؛ فإنَّه لا يُصلِح حال الحياة الإنسانية في كل جوانبها (الفردية، والجماعية، والحضارية) أنْ نأخذ ببعضٍ، ونترك بعضاً آخرَ. وهذا المعنى التكاملي موجود في الإسلام؛ فالله سبحانه وتعالى لا يَقبل منّا أنْ نأخذ جانباً من الإسلام، ونَدَعَ جوانب، ونقول مثل ذلك في سُنَنه ﷻ، ولنا أنْ نتأمَّل قول الحق تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ [النساء: 150–151]. وسبب ذلك –في ما نراه– أنَّ الحياة الإنسانية هي أشبه بالبناء الواحد، وحين تُراعى السُّنَن الإلهية يُبنى هذا البناء ويبقى، وتركها يهدمه. فإذا أخذنا ببعض السُّنَن، وتركنا بعضها الآخر، كنّا كمَنْ يبني من جانب، ويهدم من جانب آخر؛ فلا يتمُّ البناء، ويكون الفساد أكبر من الصلاح.

وترتبط بخصيصة التكامل خصيصةٌ أُخرى هي:

– الاتِّساق: يُقصَد بذلك أنَّ هذه السُّنَن لا يتعارض بعضها مع بعض، ولا تتناقض فيما بينها. فمثلاً، سُنَّة التدافع لا تتعارض مع سُنَّة نصر الله للمؤمنين، أو مع سُنَّة الله في الظلم والظالمين، وهكذا يقال في جميع السُّنَن الإلهية.

وبوجه عام، يُمكِن القول: إنَّ جميع خصائص السُّنَن الإلهية التي يجري استنباطها بطريق صحيح من كتاب الله الكريم لا تتعارض فيما بينها، بل هي مُتَّسِقةٌ تماماً؛ إذ لا تعارض بين الثبات والاطِّراد في السُّنَن الإلهية، كما ذكرنا آنفاً، ولا تعارض لأيٍّ منهما مع صفة التكامل والاتِّساق.

ولو بحثنا عن عِلَّة هذا التكامل والاتِّساق لوجدنا أنَّها ترجع إلى أنَّ واضع هذه السُّنَن واحدٌ أحد، هو الله سبحانه وتعالى "خالق كل شيء"؛ فهو خالق الإنسان، وخالق كل ما يتعلَّق بوجوده وحياته، فعِلْمه مُطلَق، وقدرته مُطلَقة، وهو "الغني الحميد"، ولا يجوز أنْ يكون في نظام مخلوقاته تفاوتٌ أو تعارضٌ أو فساد، وهو أمرٌ يُؤكِّده النظر العلمي الباحث عن الحقيقة في هذا الوجود. قال

سبحانه وتعالىٰ في هذا المعنىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [الملك: 3-4].

وإذا كنّا نتعرَّف السُّنَن الإلهية من كلام الله سبحانه وتعالىٰ (القرآن الكريم)، وكان الأمر كما نجده في كلامه ﷻ عن القرآن الكريم، مصداقاً لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ۝٨٢﴾ [النساء: 82]، فإنَّه لا اختلاف ولا تعارض في كلام الله، الذي عرَفْنا سُنَنه منه. ومن ثَمَّ، فلن يكون بالضرورة بين السُّنَن الإلهية سوىٰ الاتِّساق والتكامل.

إنَّ هذه النواميس (السُّنَن) -إضافةً إلىٰ ما تقدَّم ذكره عنها- هي في جانب منها بمنزلة أمثال ضربها الله سبحانه وتعالىٰ للناس حتىٰ تكون تذكيراً لهم بما حصل لِمَنْ كان قبلهم مِنَ الأفراد والجماعات والأُمم، يستقون منها النتائج أو العواقب التي جاءت مُلازِمة لمُقدِّماتها، في حالة العواقب الإيجابية الخيِّرة، أو حالة العواقب السلبية التي كان فيها عذاب أو شَرٌّ. والحقُّ سبحانه وتعالىٰ لم يقصد بهذه الأمثال تذكيرنا فقط، وإنَّما طلب منّا أنْ نتفكَّر فيها، وأنْ نتعقَّلها ونعقلها؛ لكي نَعِيَها وعياً مبنيّاً علىٰ عِلْم؛ أيْ علىٰ معرفة صادقة معها دليلها. فلنتأمَّل ولنتدبَّر قوله تعالىٰ: ﴿وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: 25]، ثمَّ قوله ﷻ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَالُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: 21]، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَالُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [العنكبوت: 43].

إنَّ الله عزّ جَلَّ وضع هذه النواميس (السُّنَن)، وجعلها -في أحد جوانبها- أمثلة للناس؛ لينتفعوا بمعرفتها، فيُطبِّقوها في حياتهم الإنسانية -في جميع مستوياتها- بوعي وعِلْم وصلوا إليه بعد تفكُّر وتعقُّل. وهذا في جانب آخر حثٌّ من الله الخالق أنْ ندرس السُّنَن الإلهية، وأنْ نجعلها موضوعاً لعِلْم (دقيق).

فهذه النواميس (السُّنَن) تتضمَّن إرشاداً وبياناً؛ أيْ هدايةً[11] للإنسان في حياته؛ إذ تُرشِده إلىٰ الطريق القويم و"الصراط المستقيم" الذي يُحقِّق باتِّباعه الغاية التي خُلِق من أجلها، وهي عبادة الله تعالىٰ؛ أيْ طاعته بالخضوع الإرادي، وتنفيذ أمره ونهيه وكل ما يُحِبُّه سبحانه ويرضاه.

قال سبحانه وتعالىٰ مُبيِّناً لنا إرادته فينا، بوضع هذه السُّنَن وتبيينها؛ لتكون هدايةً وإرشاداً لنا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: 26]. فالله يريد أنْ نعرف السُّنَن التي جَرَت علىٰ الأقوام قَبْلنا، فيكون ذلك هدايةً وبياناً من جانب، وعِبْرةً من جانب آخر في الوقت نفسه؛ فلا نقع في سوء عاقبة مَنْ ظلَمَ الرُّسُلَ وخالفهم مثلاً؛ إذ أعلمَتْنا السُّنَّة الإلهية بهذه العاقبة السيِّئة، ومن الـمُتوقَّع أنْ يحصد النتائج الإيجابية الذين أطاعوا الرُّسُل واتَّبعوهم؛ إذ أعلمَتْنا السُّنَّة الإلهية بذلك؛ لأنَّ سُنَن الله ثابتة "لا تتحوَّل، ولا تتبدَّل".

وهذه المعاني أكَّدها الحقُّ سبحانه وتعالىٰ في كتابه الكريم، في مواضعَ عدّة، منها قوله في حقِّ مَنْ يطيع الله ورسوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: 13]، وكذلك قوله سبحانه في حقِّ مَنْ يعصي الله ورسوله: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء:14]. وإذا كان هذا هو عاقبة كلٍّ من الطائعين والعاصين في الآخرة، فإنَّ لكلٍّ من الفئتين عواقب في الدنيا أيضاً ذكرها الله في كتابه الحكيم. ففي حقِّ الطائعين، قال سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [النور: 54]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: 120]. فمَنِ اتَّبع هدىٰ الله لا يتيه في حياته؛ لأنَّه يعرف غايته في هذه الحياة والطريق القويم الموصِل إلىٰ تحقيقها؛ أيْ لا يكون ضالاً، وكذلك لا يكون شقياً في حياته لا

[11] الهداية لغةً: البيان والإرشاد، واصطلاحاً: المعرفة بالغاية التي تتوجَّه إليها أفعال الإنسان كلها، ومعرفة أقصر الطرائق وأصوبها لتحقيق هذه الغاية، ومعرفة النماذج الواقعية للذين تمثَّلوا الهداية ليُقتدىٰ بسلوكهم، وهم "**الذين أنعم الله عليهم**"، ومعرفة النماذج الواقعية للذين لم يتمثَّلوا الهداية؛ لكي لا نقع في مثل أفعالهم، وهم "**المغضوب عليهم**". ولا تتمُّ الهداية إلّا بتطبيق هذه المعرفة في حياتنا وسلوكنا (هذا الفهم مستمد من تأمُّل سورة الفاتحة).

نفسياً ولا مادياً. قال سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:123]، وقال تعالىٰ في حقِّ العاصين الذين لم يطيعوه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: 124]؛ أيْ حياةً مليئةً بالضيق والمشكلات المادِّية وغير المادِّية.

وقد تضمَّنت هذه النواميس (السُّنَن) أيضاً تقديم أمثلة (أحداث) حقيقية من واقع الحياة الإنسانية لأفراد أو أقوام سابقين؛ أمثلة لأُناس أخذوا بالـمُقدِّمات الإيجابية؛ أيْ بالأفعال التي يُحِبُّها الله تعالىٰ، ويرضاها، وأمر الناس بفعلها، فأحرزوا النتائج الإيجابية؛ أيْ خيرهم وكمالهم الإنساني الـمُمكِن لهم في الدنيا أوّلاً، وفي الآخرة أيضاً كما وعدهم خالقهم وخالق هذه السُّنَن، فهذه الأمثلة التي يلزمهم جميعاً أنْ يقتدوا بها هي التي جعلت هؤلاء الناس داخلين في فئة "الذين أنعم الله عليهم". أمّا الأمثلة الواقعية الأُخرىٰ التي "ضربها" الله سبحانه وتعالىٰ في القرآن الكريم، فهي لأفراد أو أقوام أخذوا بمُقدِّمات باطلة؛ أيْ أفعال لا يُحِبُّها الله تعالىٰ، ولا يرضاها، ولم يأمر أحداً بفعلها، ونهىٰ عن إتيانها، فكانت نتائج ذلك فساد نظام حياتهم، وضلال أعمالهم، واستحقاقهم العقوبات التي وقعت عليهم، ودخولهم في فئة "المغضوب عليهم". ومن ثَمَّ، فإنَّ في هذه السُّنَن الإلهية عِبْرة للناس جميعاً؛ "عِبْرة بشرىٰ" بالعاقبة الحَسَنة للطائعين، و"عِبْرة إنذار" للعاصين.

وقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالىٰ من وضع هذه النواميس (السُّنَن) أنْ يسير الناس في حياتهم، في كل جوانبها، وَفقاً لها دون إكراه، بل بإرادة حُرَّة، ومَردُّ ذلك إلىٰ ما قدَّره الله تعالىٰ للإنسان في عِلْمه الأزلي بإرادته الـمُطلَقة قبل خَلْقه، وقبل أنْ يكون "شيئاً مذكوراً". قال ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: 1]؛ فالله تعالىٰ خلق الإنسان، لكي يعبده. قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: 56]. وتتحقَّق هذه الغاية (العبادة) على الوجه الأتمِّ حين يكون كل سلوك -بلا استثناء- جليلاً أو حقيراً، كبيراً أو صغيراً، طاعةً لله سبحانه في "غاية الخضوع، وغاية المحبة". وقد قضت إرادةُ الله -قبل خَلْقه الإنسان- أنْ يجعله خليفةً في الأرض. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، ثم خلقه من ترابها. قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [فاطر: 11]، وجعل الأرض ميدان حياته وحركته. قال عَزَّ من قائل: ﴿وَالْأَرْضَ

وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ [الرحمن: 10]، وكلَّفه بتعميرها وإنشاء العمران فيها. قال تبارك وتعالىٰ: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61]، ثم خلق للإنسان الموت والحياة؛[12] "ابتلاءً" وامتحاناً، ليرىٰ كيف يعمل في هذه الحياة الدنيا، وليُقيِّم أعماله بميزانه الدقيق، ويُحدِّد له درجات الخير الحسن فيها. قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 1-2]. وقد اقتضت حكمة الله وعدله أنْ يجعل مهمة الإنسان في الخلافة وعمارة الأرض، وفي الابتلاء؛ لتتحقَّق الغاية القصوىٰ (العبادة) واضحةً بيِّنةً؛ ولكيلا يضلَّ في حركته المطلوبة منه في امتحانه. ومن ثَمَّ، كانت السُّنَن الإلهية (النواميس) بمنزلة الطرائق والشرائع التي يُمكِن للإنسان باتِّباعها وهدايتها أنْ يُمارِس حركته في الحياة وهو مُطمئِن وواثق بأنَّه إذا حقَّق المُقدِّمات المطلوبة، فإنَّ النتائج المرغوبة ستتحقَّق، وإنْ أهملها ولم يتَّبعها واتَّبع هواه ضلَّ، وشقي، "وكان أمره فُرُطاً"، وحقَّ عليه عقاب الله تعالىٰ.

وإذا كانت السُّنَن الإلهية قد وضعها الله سبحانه وتعالىٰ، فإنَّه لم يضعها عبثاً بلا فائدة أو بلا جدوىٰ. ومن تمام فِقْه السُّنَن الإلهية أنْ نتعرَّف الوظيفة التي تؤدّيها هذه السُّنَن في حياة الإنسان، وقد تقدَّمت إشارات إجمالية موجزة في ذلك، نقول في بيانها: إنَّ معرفة السُّنَن الإلهية تُعِين الإنسان علىٰ ألّا يضلَّ في حركته خلال حياته. والضالُّ هو الذي يجهل الغاية التي خُلِق من أجلها (عبادة الله)، ويجهل الطريق الأقصر والأصوب (الصراط المستقيم) الذي يوصِله بالسير عليه، ووَفقاً له، إلىٰ تحقيق هذه الغاية، والمعرفة الصحيحة للسُّنَن الإلهية تُعِين علىٰ ذلك. وإذا كان تحقيق الإنسان الغاية التي وُجِد من أجلها يعني تحقيق خيره وكماله، فإنَّ معرفة حقيقة السُّنَن الإلهية تُعِين علىٰ تحقيق كماله اللائق به وخيره وسعادته. ويَتَّصِل بهذا المعنىٰ القول بأنَّ معرفة الإنسان (فرداً، وجماعةً) للسُّنَن الإلهية وتطبيقها في واقعه المَعيش يُبعِد عنه الشقاء والضيق في حياته، سواء أكان الشقاء والضيق جسمياً ومادياً أم معنوياً؛ أي عقلياً، وروحياً، ووجدانياً.

[12] الموت هو انفصال الروح عن الجسد، وآيات القرآن تُؤكِّد وجود الروح منفصلة عن الجسد قبل خَلْق الإنسان؛ أيْ موتها. والحياة هي اتحاد الروح بالبدن بقدرة الله (والله أعلم).

وإذا كان عمران الأرض هو -بلفظ آخر- إنشاءُ حضارة أو إحياؤها، وهو جُمْلة جهود شاملة ومُتكامِلة يُنجِز فيها الإنسان ما يَلزمه من أدوات ووسائل تُيسِّر له فعل كل ذلك، وتُيسِّر له الدفاع عن نفسه من شرور الأعداء والطامعين في أرضه وثرواتها؛ فلا بُدَّ له أنْ يبدأ كل هذه الجهود بالتخطيط السليم له، مُبيِّناً فيها الأولويات، ومراعياً مبدأ "دفع الـمَضارِّ مُقدَّم على جلب المصالح". ولا شكَّ في أنَّ معرفة السُّنَن الإلهية تُعِينه كثيراً على هذا التخطيط. وإلى جانب التخطيط السليم، فإنَّ السُّنَن الإلهية تفيده في الوصول إلى توقُّعات يوثَق بها، في ما يُعَدُّ أشبه بالتنبُّؤ العلمي.

ومعرفة السُّنَن الإلهية عامةً، وسُنَّة النصر بوجه خاص، تُسهِم في الأخذ بأسباب النصر الحقيقية؛ إذ يُعِين اتِّباعها على تحقيق النصر والتمكين للأُمَّة، والحفاظ على عِزَّتها، واستعادتها لحقوقها الـمُغتَصبة على اختلافها.

وإذا كان الإنجاز العلمي هو أحدُ العناصر الرئيسة لقيام الحضارات وبنائها، فإنَّ معرفة السُّنَن الإلهية في حياة الإنسان ومعرفة آيات الله الكونية تجعل الحصول على العِلْم أمراً مُمكِناً، فتَسْهُل بعد ذلك عمليات الإنجاز المادي وغير المادي، الذي به تنشأ الحضارات.

وأيضاً، فإنَّ معرفة السُّنَن الإلهية تُعِين على فهم مشكلات الحياة الواقعية، وتُعِين بعد ذلك على إيجاد الحلول لها، على اختلافها. ومعرفة السُّنَن الإلهية تفيد في تربية الأجيال وتثقيفهم والوعي بمشكلاتهم، فهذه المعرفة تَلزم الـمُربّي والداعية، فضلاً عن الحاكم والـمُصلِح.

وبوجه عام، فإنَّ في معرفة السُّنَن الإلهية عِبَراً في كل مجال من مجالات الحياة؛ إذ إنَّها تُبيِّن لنا نواميس حركة الحياة التي إذا تحقَّقت فيها الـمُقدِّمات تحقَّقت تبعاً لها النتائج.

والحقُّ أنَّ في كل مسألة من هذه المسائل تفصيلات يُمكِن أنْ يُوضِّحها أهل الاختصاص في مجالات الحياة المختلفة. ومن هنا، نجد أنَّ الحاجة ضرورية لإنشاء عِلْم السُّنَن الإلهية.

ثانياً: الثقافة السُّنَنية

الثقافة السُّنَنية هي ثقافة منسوبة إلى السُّنَن الإلهية؛ وحتى نصل إلى فهمها، لا بُدَّ لنا من مرور سريع على مفهوم "الثقافة" بصورة عامة؛ إذ ما نحن بصدد بيانه هو "الثقافة" التي أضفناها إلى "السُّنَن"، فصار لدينا مصطلح "الثقافة السُّنَنية".

سنبدأ بتحديد مفهوم "الثقافة" في نظرنا؛ ليكون هو ما نبني عليه مفهوم "الثقافة السُّنَنية"، فنقول:

"الثقافة معرفة عملية مُكتسَبة، تنطوي على جانب معياري، وتتجلّى في السلوك الواعي للإنسان (فرداً، وجماعةً) في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود بأجزائه المختلفة" (السيد أحمد، 2008، ص20–35).

أمّا الوجود فيُعَدُّ أعمَّ الأجناس، ويُطلَق عليه في عِلْم المنطق اسم جنس الأجناس. وهذا لا يُعرَّف إلّا بنفسه؛ فالوجود هو صفة لكلّ ما هو موجود، سواء كان من عالَـم الشهادة أو من عالم الغيب. وفي تاريخ الفلسفة تقسيمات مختلفة للوجود، ولكنَّ تقسيمنا للوجود هنا مأخوذ من القضية الوجودية الأولى؛ أعني قضية أنَّ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: 62]، وغيرها من الآيات الكريمة، وهو قسمان: الخالق، وهو واحد أحد لا شريك له في الخَلْق. والمخلوقات، وهي كثيرة جداً لدرجةٍ لا يُمكِن فيها حصْر أفرادها، ولكنَّ الـمُمكِن هو تصنيفها إلى أقسام كبيرة، وقد قسَّمناها إلى الأقسام الآتية:

الذات الفردية، والآخر (في دوائره العديدة)، والكون الطبيعي، والأفكار (يدخل فيها كل العلوم)، والوسائل والأدوات، والزمن، والغيب.

ولدينا في الثقافة مصطلحان ضروريان لفهمها؛ الأوَّل: مصطلح "الثقافة العامة؛ وهي معرفة عملية مُكتسَبة، تنطوي على جانب معياري، وتتجلّى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود، على نحوٍ مُجمَل يشمل المنطلقات، والأُسس، والمبادئ العامة، والضوابط"

(السيد أحمد، 2008، ص32). والثاني: مصطلح الثقافة الخاصة؛ وهي معرفة عملية مُكتسَبة، تنطوي على جانب معياري، وتتجلّى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع جانب مُحدَّد من الوجود. وجوانب الوجود الـمُحدَّدة لا حصْر لها. ولهذا، فإنَّ الثقافات الخاصة -في ضوء تحديداتنا- ستكون كذلك لا حصْر لها. فمثلاً: هناك ثقافة عسكرية، وهذه فيها ثقافات خاصة عديدة، وتوجد ثقافة طبية أو صحِّية، وهذه فيها ثقافات خاصّة عديدة، وهناك ثقافة صناعية، وكذا سياسية ... إلى غير ذلك من أجزاء الوجود التي لا حصْر لها. وسنضرب مثالاً يُوضِّح هذا الفهم، فنقول: إنَّ المعرفة العملية بتعامل الإنسان مع مادَّة الخشب التي تتجلّى في سلوك النجّار هي ثقافة خاصّة، مجالها التعامل مع مادَّة الخشب، وكذلك المعرفة العملية في تعامل الحدّاد مع مادَّة الحديد، وكذلك يقال عن المعرفة العملية في تعامل رئيس شركة أو مؤسسة ما في إدارته للشركة أو المؤسسة، ويوصَف كلّ مَنْ يعرف كيفية التعامل مع هذا الجزء الـمُحدَّد بأنَّه مُثقَّف في هذا المجال الخاص. وبذلك، لا نرى أنَّ الـمُثقَّف هو إنسان من فئة نخبوية، يُدْلي برأيه في كل شؤون الحياة، ويتعامل مع القضايا في مختلف المجالات؛ فعامل النظافة -مثلاً- الذي يُتقِن مهنته هذه هو مُثقَّف في مجاله، وقد يكون لديه معرفة عملية عن النظافة لا يعرفها المسؤول عنه. وبطبيعة الحال، فقد لا يكون لديه ثقافة في التعامل مع أجزاء أُخرى من الوجود.

ولكنَّ هذا الـمُثقَّف بالثقافة الخاصّة يجب أنْ يكون لديه حدٌّ أدنى من الثقافة العامة فما فوقها؛ أيْ حدٌّ أدنى من المعرفة العملية الـمُرتبِطة بالمنطلقات، والمبادئ، والأُسس، والضوابط. وفي هذه المعرفة تفاوت بين الأفراد فيما فوق الحَدِّ الأدنى، وذلك بحسب جانب الوجود الذي يتعاملون معه. والثقافة العامة هي المرجعية الأخلاقية -بالمعنى الواسع والشامل للأخلاق- للثقافة الخاصّة (السيد أحمد، 2008، ص32-36). وهذه المرجعية لا تتجسَّد على أرض الواقع بصورة مستقلة، وإنَّما تتجسَّد في الثقافات الخاصّة عند تطبيقها في الحياة العملية. ومن هنا، فكل ثقافة خاصّة في التعامل مع جزء مُحدَّد من الموجود، مثل: التعامل في مهنة النجارة مع الخشب، والتعامل مع المحاصيل الزراعية في

مهنة الزراعة، تختلف عن مثيلاتها في المجتمعات المختلفة وَفقاً للمرجعية العامة؛ أيْ وَفقاً للثقافة العامة السائدة في كلٍّ من هذه المجتمعات.

وبعد هذا التوضيح الموجز لمفهوم "الثقافة"، وبيان أنَّ ما يتجسَّد واقعاً هو ثقافات خاصة، سننتقل إلى ربط مفهوم "الثقافة" بمفهوم "السُّنَن الإلهية"، فنقول: لمّا كان الله سبحانه وتعالى هو "خالق كل شيء"، وكانت السُّنَن الإلهية (النواميس) تُنظِّم الحياة الإنسانية، وكانت الحياة الإنسانية والسُّنَن هي أجزاء من "كل شيء"؛ أيْ من المخلوقات، وكان كلّ جزء من المخلوقات هو جزءٌ من الوجود؛ فإنَّ المعرفة العملية بكيفية التعامل مع هذه الأجزاء، ومنها السُّنَن، تقع تحت عنوان: "الثقافة الخاصّة" (انظر تعريفها في ما تقدَّم آنفاً). ولأنَّ هذه السُّنَن عديدة؛ فإنَّنا نستطيع القول: إنَّ لكل سُنَّةٍ ثقافةً خاصّةً بها؛ أيْ معرفةً عمليةً بكيفية التعامل معها. وهذا التوضيح يُقرِّبنا من تحديد المقصود بمفهوم "الثقافة السُّنَنية"؛ إذ ستكون الثقافة السُّنَنية عامةً هي جُمْلة المعرفة العملية الـمُكتسَبة التي تنطوي على جانب معياري، وتتجلّى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الإنسانية (الاجتماعية) مع السُّنَن الإلهية.

أمّا مرجعية هذه الثقافة السُّنَنية فستكون -بالضرورة- مرجعية الثقافة الإسلامية؛ ذلك أنَّ السُّنَن الإلهية مُستنبَطة من كلام الله سبحانه وتعالى، وأنَّ المبادئ والأُسس والقواعد والضوابط في مرجعية الثقافة الإسلامية مُستنبَطة من كلام الله سبحانه وتعالى، وليس من كلام غيره؛ فلا يُمكِن -والحال كذلك- أنْ تكون مرجعية المعرفة العملية في التعامل مع السُّنَن الإلهية غير مرجعية الثقافة الإسلامية؛ أي الثقافة الإسلامية العامة (السيد أحمد، 2008، ص36-42). ومن ثَمَّ، فإنَّ الـمُثقَّف بثقافة سُنَنية -في سُنَّة ما أو أكثر- لا بُدَّ أنْ يكون على معرفة ووعي بالثقافة الإسلامية العامة.

ما قدَّمناه من توضيح وتحديد لمفهوم "السُّنَن الثقافية" يتطلَّب ضرْب بعض الأمثلة على السُّنَن الإلهية التي لها تعلُّق بالأفراد، والجماعات (القوم)، والحضارات؛ بُغْيَةَ مزيد من البيان لمفهوم "الثقافة السُّنَنية".

وسنبدأ بمثال على مستوى الأفراد، وهو سُنَّة التقوى، التي وردت الإشارات الواضحة إليها في عدد من الآيات الكريمة، وكانت فيها مُقدِّمات هذه السُّنَّة "أفعال التقوى"، وكانت النتائج الـمُترتِّبة على هذه الأفعال كلها نتائج إيجابية، دنيوية وأُخروية. قال الله تعالى مُقرِّراً سُنَّة التقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: 2-3]. فهاتان الآيتان -بحسب مصطلحات عِلْم المنطق- تُمثِّلان قضية شرطية متصلة لزومية؛ ما يعني وجود ارتباط حقيقي فعلي بين طرفيها (الـمُقدَّم والتالي)، وأنَّ الـمُقدَّم هنا عِلَّة للتالي؛ فتقوى الله هي عِلَّة جعْل الله للإنسان مخرجاً إذا مَرَّ بضيق في أحواله الحياتية، وهي عِلَّة لرزق يأتيه من عند الله دون تخطيط أو حسابات، ودون توقُّع. وبعد هذا الوصف المنطقي الموجز لهذه السُّنَّة الإلهية (سُنَّة التقوى) الواردة في هاتين الآيتين، فإنَّنا سنُعرِّج على "الثقافة السُّنَنية" الـمُرتبِطة بهذه السُّنَّة، وهي: المعرفة العملية الـمُكتسَبة التي تنطوي على جانب معياري، وتتجلّى في سلوك الأفراد الواعي في تعاملهم في الحياة مع سُنَّة التقوى. وهذا التحديد يعني أنْ يعرف الأفراد الأفعال التي توصَف بأنَّها أفعال تقوى، وكيفية القيام بها، والشروط اللازمة لتحقُّقها على أرض الواقع، وأنْ يعرفوا أيضاً النتائج التي تنجم عنها، وأنْ يعرفوا كذلك أمثلة واقعية تخصُّ أفراداً سابقين مارسوا أفعال التقوى في ما مضى، وكيف جاءت عواقب أفعالهم هذه، وأنْ يعرفوا أيضاً الأفعال التي هي مضادات لأفعال التقوى، وأنْ يعرفوا كذلك أمثلة واقعية تخصُّ أفراداً سابقين مارسوا هذه الأفعال (المضادة لأفعال التقوى)، وكيف جاءت عواقب أفعالهم هذه.

وإضافةً إلى ما تقدَّم من معرفة عملية، فلا بُدَّ من معرفة الجانب المعياري الذي تتضمَّنه المعرفة بأفعال التقوى، ونقصد بالجانب المعياري هنا معرفةَ المعيار -الصادر عن فرد ما- الذي تقاس به، وفي ضوئه، أفعال التقوى، قرباً من هذا المعيار أو بُعْداً عنه، ويُمثِّل -في الوقت نفسه- الحالة الـمُثلى وأكثر الحالات كمالاً التي يسعى المتقون للوصول إليها، أو الاقتراب منها ما أمكنهم ذلك.

ثمَّ إنَّ هذا المعيار مُضمَر في أحكامنا على أفعال التقوى، وسلوك فرد ما بأنَّه تقي أو غير تقي. فمثل هذا الحكم لا يكون مقبولاً إلّا إذا كان لدينا، وفي أذهاننا، هذا المعيار الذي أصدَرْنا حُكْمنا في

ضوئه. وبطبيعة الحال، فإنَّ كل هذه المعرفة التي أشرْنا إليها هنا ليست معرفة فطرية، وإنَّما هي معرفة مُكتسَبة، يُحصِّلها الإنسان بالطرائق المختلفة لاكتساب المعرفة. وحين نحصل على كل هذه المعرفة – المشار إليها هنا– يصبح لدينا ثقافة سُنَنية خاصة بسُنَّة التقوى. وقد تَرِدُ إلى الذهن الآن أسئلةٌ عدّة، أهمُّها: كيف نُحصِّل المعرفة بأفعال التقوى؟ وما مصادرها؟ والجواب واضح وهو أنّ مصدر هذه المعرفة –ونحن في سياق الحديث عن السُّنَن الإلهية– هو كلام الله ووحيه؛ أيْ كتاب الله (القرآن الكريم) وصحيح سُنَّة رسوله الخاتم، ﷺ، الذي يُمثِّل الهداية الكاملة (الإسلام).

أمّا بالنسبة إلى المعرفة بالأمثلة الواقعية الخاصّة بالأفراد الذين اتّبعوا سُنَّة التقوى، أو الذين خالفوها، فإنَّنا نجد جانباً منها في الكتاب والسُّنَّة، وجانباً آخرَ نحتاج إلى البحث عنه في السِّيَر وكتب التاريخ، والسَّيْر في الأرض بنظر فاحص مُدقِّق، كما ورد في أمر الله تعالى وتوجيهه في أكثر من آية كريمة. ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: 36]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩﴾ [النمل: 69]، وقوله عَزَّ من قائل: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [غافر: 82].

وهناك مصدر عقلي يفيدنا أحياناً في معرفة مضادات أفعال التقوى؛ إذ الأفعال المتضادة لا تجتمع معاً، وقديماً قالوا: "وبضدِّها تتميَّز الأشياء"؛ فحين نعرف أفعال التقوى يَسْهُل عقلاً معرفة مضاداتها.

إنَّ هدف هذا البحث –في القسم الثاني منه– هو بيان معنى الثقافة السُّنَنية وكيفية الوصول إليها. وفي كلامنا هنا عن سُنَّة التقوى لم نقصد أنْ نُبيِّن أفعال التقوى تفصيلاً، وإنْ كان يُمكِن القول بوجه عام وباطمئنان: إنَّ هذه الأفعال يجمعها الالتزام بالأحكام، والتوجيهات، والمواعظ، والأخلاق الواردة في الإسلام؛ كتاباً وسُنَّةً صحيحةً، والمبنية على الإيمان بالله والإخلاص له. وأمّا تفصيل أفعال التقوى فيدخل في موضوعات العِلْم الجديد الذي نرى ضرورة العمل على ترسيخه عِلْماً مستقلاً، وهو "عِلْم الثقافة السُّنَنية" الذي نرى أنَّه سيكون عِلْماً مُشتَقّاً من العِلْم الأوسع: "عِلْم

الثقافة الإسلامية" (مثاله منهجياً: عِلْم المقاصد الـمُشتَقُّ من عِلْم أصول الفِقْه)، ونرىٰ أنَّنا بحاجة إلىٰ عِلْم الثقافة السُّنَنية الذي يحتاج إلىٰ جهود الباحثين المتضافرة قبل إعلانه عِلْماً مستقلاً.

ولإتمام التوضيح لِما نحن بصدده بالأمثلة، سنورد آيات كريمات أُخر تُقرِّر سُنَّة التقوىٰ في صورة قضايا شرطية لزومية، لها الـمُقدَّم نفسه، ولكنَّ التالي أي النتائج في كلٍّ منها مختلف:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: 4]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطلاق: 5]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: 29]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [آل عمران: 15]، وقال عَزَّ من قائل: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: 96].

إنَّ القول في هذه الآيات هو القول نفسه الـمُتقدِّم في الآية السابقة، من حيث وجود "أفعال التقوىٰ" التي هي الـمُقدِّمات، والنتائج التي تنجم عنها؛ دنيوية وأُخروية.

وهذه الآيات الـمُعبِّرة عن "سُنَّة التقوىٰ" تشير إلىٰ نتائج أفعال التقوىٰ في الدنيا والآخرة؛ فالنتائج الدنيوية -بحسب الآيات الواردة آنفاً- هي: المخرج من الضيق، والرزق من حيث لا يحتسب، وتيسير الأمور، والقدرة علىٰ التفريق بين الحقِّ والباطل، وحصول البركات والخير للأفراد والجماعات.

أمّا النتائج الأُخروية -بحسب هذه الآيات- فهي: تكفير السيئات، والمغفرة، وجنات تجري من تحتها الأنهار.

وفي الآية السادسة والتسعين من سورة الأعراف مَلْحَظٌ يحتاج إلىٰ التنويه؛ ذلك أنَّنا صنَّفْنا "سُنَّة التقوىٰ" علىٰ أساس أنَّها سُنَّة فردية، ولكنَّ هذه الآية الكريمة تشير إلىٰ سُنَّة جماعية، هي أنَّ أهل القرىٰ (الجماعات) إذا قاموا بأفعال التقوىٰ جاءت النتيجة جماعية؛ فالبركات التي ستنهال عليهم من السماء والأرض ستصيب الأفراد وتصيب الجماعة، وفي هذا تنبيه علىٰ الجدلية الـمُتبادَلة بين الفردي والجماعي. وهذا شأن الإسلام عامةً؛ فالعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج هي تكاليف فردية،

ولكنَّ نتائجها -كما هو معلوم- فردية وجماعية في الوقت نفسه. ومن ثَمَّ، فإنَّ الـمُشتغِل ببحث الثقافة السُّنَنية يحتاج إلى أخذ هذه المسألة بالاعتبار.

وفي ضوء ما تقدَّم، يُمكِن أنْ نُجمِل فهمنا للثقافة السُّنَنية الخاصّة "بسُنَّة التقوى" بالقول الآتي: هي معرفة أفعال التقوى وبيان لها، ومعرفة شروط كلٍّ منها، ومعرفة وبيان لجميع النتائج اللازمة من هذه الأفعال، ومعرفة أمثلة تتعلَّق بأفراد مارسوا أفعال التقوى في الماضي ونتيجة ذلك، وأمثلة تخصُّ أفراداً مارسوا مضادات أفعال التقوى ونتيجة ذلك.

بعد أنْ قدَّمنا مثالاً يُبيِّن معنى الثقافة السُّنَنية الـمُرتبِطة بسُنَّةٍ على مستوى الأفراد هي "سُنَّة التقوى"، سنُقدِّم الآن مثالاً آخرَ لتعرُّف الثقافة الـمُتعلِّقة بسُنَّةٍ على مستوى الجماعات، وأقصد بذلك "سُنَّة النصر" للجماعات والأقوام.

وفي ما يأتي بعض الآيات التي تُمثِّل هذه السُّنَّة الإلهية:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: 7]، وقال ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40].

هاتان الآيتان الكريمتان تعبّر كلّ منهما عن سُنَّة إلهية واحدة، يُمكِن تسميتها **سُنَّة النصر**، وكل واحدة منهما هي قضية شرطية متصلة لزومية، فيها مُقدَّم يَلزم منه التالي، والتالي هو النتيجة لتحقُّق الـمُقدَّم.

ففي الآية الأولى، نجد أنَّ القضية الشرطية اللزومية هي ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾، وأنَّ الـمُقدَّم فيها هو نصْر القوم أو الجماعة لله سبحانه، وهذا إنْ حدث وتحقَّق حدث التالي، وهو -هنا- نصْر الله للقوم أو الجماعة وتثبيت أقدامهم، فلا يتراجعون في ميدان المعركة (على أقدامهم).

والآية الثانية هي أيضاً قضية شرطية متصلة لزومية -كما الأولى-، ويُمكِن صياغتها -للتوضيح- في الصورة الآتية:

القوم الذين ينصرون الله ينصرهم الله تعالىٰ؛ فالـمُقدَّم هو نصْر القوم لله تعالىٰ، وحدوثه يَلزم منه نصْر الله تعالىٰ لهم. ولأنَّ ساحات النصر وميادينه مُتعدِّدة، كأنْ يكون في معركة عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو فكرية أو غير ذلك؛ فإنَّ هذا الناموس (السُّنَّة) ينطبق علىٰ كل حالة فيها صراع بين المؤمنين وغير المؤمنين.

وإذا أردنا أنْ نعرف الثقافة السُّنَنية الخاصّة بـ"سُنَّة النصر"، وجب علينا -كما أوضحنا في سُنَّة التقوىٰ- أنْ نعرف الأفعال التي يتحقَّق بها (الـمُقدَّم) في القضية الشرطية هنا؛ أي الأفعال التي بها ينصر الناسُ (أو القوم) الله سبحانه "الغني الحميد"، وأنْ نعرف شروط هذه الأفعال التي تجعلها كذلك، وأنْ نعرف أمثلة واقعية حدثت في حياة أقوام أو جماعات، وكان فيها نصْر الله لهم نتيجةَ نصْرهم لله سبحانه، وأنْ نعرف أمثلة واقعية أُخرىٰ في حياة أقوام أو جماعات لم يحدث فيها نصْر لهم من الله نتيجةً لعدم نصْرهم الله سبحانه، وأنْ نعرف كذلك -كلَّما أمكن- تفاصيل النصر الذي يتحقَّق وَفق هذه السُّنَّة.

وإضافةً إلىٰ ما تقدَّم، فإنَّه يَلزم أنْ نعرف الجانب المعياري الذي تتضمَّنه المعرفة بالأفعال التي بها ينصر القومُ الله سبحانه وتعالىٰ؛ أي المعيار الذي تقاس في ضوئه هذه الأفعال قرباً أو بُعْداً، وهي الحالة الـمُثلىٰ وأكثر الحالات كمالاً التي يُعبِّر عنها هذا المعيار، وهي الحالة التي يسعىٰ الذين يريدون أنْ ينصروا الله لتحقيقها أو الاقتراب منها ما أمكن؛ لكي يتحقَّق لهم النصر من الله تعالىٰ.

وهذه المعرفة -المشار إليها في ما تقدَّم- بكل أجزائها هي -بطبيعة الحال- معرفة مُكتسَبة يحتاج القوم إلىٰ بذل الجهد لاكتسابها بطرائق الاكتساب المناسبة، وإذا حاز المرء (أو القوم) هذه المعرفة كلها كانت لديه ثقافة سُنَنية خاصة بـ"سُنَّة النصر".

وأمّا مصدر هذه المعرفة، وكيفية الوصول إليها، فيكون بالهداية الإلهية الكاملة الـمُتمثِّلة في كتاب الله وسُنَّة نبيِّه الخاتم الصحيحة؛ إذ فيهما ذكر أو إشارة للأفعال التي ينصر الناسُ بها الله سبحانه، وفيهما أمثلة واقعية علىٰ كلٍّ من الفريقين؛ الذين نصروا الله فنصرهم، والذين لم ينصروا الله فخذلهم. وكذلك نحصل علىٰ قَدْر من هذه المعرفة المطلوبة -كما قلنا في سُنَّة التقوىٰ فيما تقدَّم- من

سِيَر الأُمم والأقوام السابقين وتاريخهم، ومن السَّيْر في الأرض والنظر. قال تعالىٰ: ﴿ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل: 36]، وقال سبحانه: ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: 69]، وقال ﷻ علىٰ وجه العموم: ﴿ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [محمد: 10]، سواء كانت هذه العواقب إيجابية فيها خيرهم أو سلبية فيها خذلانهم وهلاكهم.

إنَّ اكتساب هذه الثقافة السُّنَنية الخاصة بـ"سُنَّة النصر"، علىٰ نحوٍ مُفصَّل وتامٍّ، يحتاج إلىٰ جهد مُتخصِّص غير قليل في اكتسابها؛ فهذه الثقافة تَلزم القادة في الدولة، وتَلزم أيضاً قادة الجيوش وغيرهم من المسؤولين؛ لكي يُحقِّقوا بتطبيقها نصْر الله لهم علىٰ أعدائهم.

وإذا بحثنا في القرآن الكريم، فلن نجد -بطبيعة الحال- كلاماً مُفصَّلاً عن أيِّ جانب من جوانب هذه الثقافة السُّنَنية الخاصة بـ"سُنَّة النصر"، ولكنَّنا سنجد إرشاداً إلىٰ المبادئ الـمُهِمَّة والضرورية لنصْر الأقوام لله الذي به يتحقَّق النصر علىٰ الأعداء. وهذه المبادئ تُستنبَط من الآيات القرآنية الـمُتعلِّقة بالنصر، ومن الألفاظ الـمُقارِبة لها وسياقاتها، مثل: الظفر، والفوز؛ إذ نجد أنَّ جوهر الأفعال التي ينصر بها المؤمنون الله سبحانه هي طاعته بفعل أوامره وترك ما نهىٰ عنه، والقيام بذلك بإخلاصٍ لله، وتوكُّلٍ عليه.

وسنضرب مثالاً علىٰ أمر إلهي جاء عاماً دون تفصيل، وهو أمره بالاستعداد لمواجهة الأعداء بأنواع القوَّة، بقَدْر استطاعة القوم أو الجماعة. قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]. وقد فهم العلماء من لفظ "القوَّة" جميع أشكال القوَّة: المادِّية من الأفراد والعتاد اللازم بكل أشكاله، والمعنوية مثل التخطيط السليم أوَّلاً، ثمَّ التقوىٰ والثبات في مواجهة العدوِّ، والصبر، والإخلاص لله، والثقة به، والتوكُّل عليه. وجميع أشكال القوَّة هذه مطلوبٌ الإعداد لها، ولكنْ بحسب استطاعة القوم وإمكاناتهم؛ ذلك أنَّ الله تعالىٰ لا يُكلِّف الناس ما لا يستطيعون فعله أو القيام به.

وبحسب واقع الحال، وعلىٰ مَرِّ التاريخ، فإنَّ تعرُّف الثقافة السُّنَنية الخاصة بـ"سُنَّة النصر" يحتاج إلىٰ جهد في بيان ذلك رُبَّما أكبر ممّا يَلزم الثقافة الخاصة بسُنَن أُخرىٰ؛ فهذه الثقافة التي تختصُّ بإعداد

القوَّة المادِّية تحتاج إلى خبراء عسكريين، واقتصاديين، وسياسيين، وإعلاميين، وتربويين، ودعويين (مُتخصصين في الدعوة)، وهي ليست كل الأفعال التي ينصر بها المؤمنون الله سبحانه. وهذا يُؤكِّد أنَّ تحصيل الثقافة السُّنَنية الخاصة بـ"سُنَّة النصر" يتطلَّب جهوداً بحثيةً علميةً مُتخصِّصةً ومُتكامِلةً، للوصول إلى تمام الثقافة (المعرفة العملية) الخاصّة بهذه السُّنَّة.

وكما لاحَظْنا وجود جانب جماعي في **سُنَّة التقوى** الـمُتعلِّقة بالأفراد، فإنَّنا نلحظ هنا في **سُنَّة النصر** الـمُتعلِّقة بالجماعات وجود جانب فردي؛ إذ إنَّ جدلية الاجتماعي والفردي واردة في هذه السُّنَّة أيضاً، فقوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: 40] يُفهَم على مستوى الجماعات والقوم، وعلى مستوى الأفراد أيضاً. ويُؤكِّد هذا المعنى قوله تعالى في نصره نبيَّه نوح عليه السلام: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء: 77]، وقوله سبحانه في نصره سيِّدنا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ [التوبة: 40]، وقوله تعالى في نصره لغير الأنبياء: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: 60]. ويُفهَم من هذه الجدلية أنَّه يجب على الأفراد -كما الجماعات- أنْ ينصروا الله، ليتحقَّق لهم النصر الفردي والنصر الجماعي.

وفي ضوء ما تقدَّم، فإنَّنا نُجمِل فهمنا للثقافة السُّنَنية الخاصة بـ"سُنَّة النصر" بالقول الآتي:

هي معرفة وبيان الأفعال التي ينصر القومُ (المؤمنون) بها الله سبحانه، ومعرفة شروط كل واحد من هذه الأفعال، ومعرفة وبيان جميع النتائج اللازمة من هذه الأفعال، ومعرفة الأفعال المضادة لأفعال نصر الله والنتائج الـمُترتِّبة عليها، ومعرفة أمثلة على أقوام مارسوا أفعالاً نصروا الله فيها ونتيجة ذلك، وأمثلة على أقوام لم ينصروا الله بأفعالهم ونتيجة ذلك (وما أحوج الأُمَّة اليوم إلى هذه الثقافة!).

والآن، سننتقل إلى المثال الثالث من أمثلة السُّنَن الإلهية (السُّنَن الإلهية الحضارية)، وهو **سُنَّة** الاستخلاف. وقبل توضيح معنى "الاستخلاف" في ضوء سياقات القرآن الكريم، فإنَّنا سنتطرَّق -بإيجاز- إلى المعنى اللغوي للفظ "خليفة" ولفظ "مُستخلَف": جاء كلا اللفظين بمعنى: "مَنْ يخلف

غيره، ويقوم مقامه" [لسان العرب، مادَّة خَلَفَ]؛ أيْ يأتي بعده، ويؤدّي المهمة التي كان يؤدّيها مَنْ كان قبله.

وأمّا في القرآن الكريم، فإنَّ فهم دلالة كلٍّ من لفظ "الخليفة" ولفظ "الاستخلاف" يبدأ بإرادة الله سبحانه وتعالى (بقراره، وله المثل الأعلى) أنْ يجعل الإنسان خليفة في الأرض بعد أنْ أخبر الملائكة بذلك، وهو في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30]. ونستنبط من هذه الآية الكريمة حقيقتين مُهِمَّتين؛ أُولاهما: أنَّ هذا الخليفة الجديد (الإنسان) كان قبله في الأرض مخلوق من نوع آخر، وأراد الله سبحانه أنْ يخلفه الإنسان، وأنْ يقوم بالمهمة التي كان يؤدّيها المخلوق السابق. وثانيتهما: أنَّ قول الملائكة لله سبحانه: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" يُستنبَط منه أنَّ المخلوق السابق الذي سكن الأرض أفسد فيها، وسفك الدماء، وأنَّ الملائكة عرفوا ذلك بالمشاهدة والمعايشة، فقاسوا ما سيأتي على ما سبق (قياس الغائب على الشاهد)، فتوهَّموا هل هذا الاستباط عليه دليل؟ أنَّ هذا الخليفة في الأرض سيفعل فِعْلَ مَنْ كان قبله (مِنْ إفساد في الأرض، وسفك للدماء). ولأنَّ الملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6]، ولأنَّ الإفساد في الأرض وسفك الدماء يبغضه الله سبحانه؛ فقد قال الملائكة رأيهم في شأن من شؤون الله الخاصة به؛ إذ فهموا أنَّ الله سبحانه يستشيرهم، ويطلب تعليقهم (أو رأيهم) على قراره جَعْلَ "خليفة في الأرض" بعد المخلوق الذي كان فيها، فجاء رأيهم بحسب عِلْمهم المحدود؛ فكان تعليق الحقِّ سبحانه على رأيهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وعاد الملائكة إلى الإقرار بأنَّ علْمهم محدود، وأنَّهم لا يعلمون إلّا ما علَّمه الله إيّاهم، وذلك بقولهم: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: 32] بعد ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، وطلب سبحانه قائلاً: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: 31].

ومن هذه الآيات الكريمات التي تُمثِّل المرحلة الوجودية الأولى بالنسبة إلى الإنسان، يُمكِن أنْ نستنبط منها تأسيساً وجودياً لسُنَّة الاستخلاف في الأرض، ويُمكِن صياغتها في صورة قضية شرطية لزومية، هي: مَنْ يُفسِد في الأرض، ويسفك الدماء، يُهلِكه الله، ويستخلف غيره مكانه.

والإفساد في الأرض له أشكال مختلفة، وسفك الدماء أحدها، لكنَّه أكثرها خطراً وأشدُّها إفساداً لحياة الإنسان على الأرض؛ لذا رأَينا أنَّ الحقَّ سبحانه قد أفرده بالذكر مع الفساد (والله أعلم).

وسنعرض في ما يأتي عدداً من الآيات التي تُؤكِّد هذه السُّنَّة؛ فمن أشكال الإفساد في الأرض: إفساد النظام الطبيعي الخاص بالأرض؛ برِّها وبحرها، وهو في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: 41]، وإهلاك الحرث والنسل إفساد في الأرض، وهو في قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: 204–205]، والظلم والطغيان الذي هو إفساد في الأرض وفي البلاد التي يشيع فيها، وهو في قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر: 10–13]، وكذلك قتْل الحاكم الناس بغير حقٍّ واستعبادهم إفساد في الأرض، وهو في قوله تعالى عن فرعون: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص: 4].

وبوجه عام، فإنَّ "الإفساد في الأرض" مضاد للإيمان بالله والعمل الصالح، والله يُحِبُّ الإيمان، ويُحِبُّ الأعمال الصالحة؛ لأنَّ فيها الخير والصلاح للحياة الإنسانية. فالإيمان والعمل الصالح لا يجتمعان مع الإفساد، وهذا المعنى نجده في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: 28].

وهكذا بيَّن لنا القرآن الكريم أنَّ هذه الأفعال، التي هي مضادات للإيمان والعمل الصالح، إذا صدرت من قوم لهم دولة وحضارة[13] (منجزات) (السيد أحمد، ص73) وسلطان استوجبت

[13] الحضارة في فهمنا هي: جُمْلة المنجزات الإنسانية الـمُتراكِمة لأُمَّة من الأُمم (أو مجتمع من المجتمعات) في حِقبة زمنية مُعيَّنة، وهي تهدف إلى تيسير حياة الإنسان، وتسهيلها، وتكميل وجوده في ضوء العقيدة السائدة في هذه الأُمَّة (أو المجتمع). وتضمُّ هذه المنجزات مجالين واسعين، هما: مجال المنجزات المادِّية (الآلات، والأجهزة، والصناعات المختلفة، وكذلك المباني، والطرق،

استخلافهم بقوم غيرهم يكون لهم سلطان ودولة وحضارة، ثمَّ ينظر الله تعالى في أعمالهم وَفق سُنَّة الابتلاء العامة. والأمثلة على ذلك من القرآن الكريم واضحة بيِّنة؛ فالله سبحانه استخلف دولة عاد وحضارتهم بعد إهلاكه قوم نوح الذين كانت لهم دولتهم وحضارتهم. قال سبحانه في ذلك على لسان نبيِّهم هود عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡطَةٗۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: 69]. ولمّا لم يستجب قوم عاد لدعوة نبيِّهم هود عليه السلام بعبادة الله وحده، أهلكهم الله تعالى، واستخلف بعدهم دولة ثمود، وكان لهم فيها منجزات حضارية أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان نبيِّهم صالح عليه السلام: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤﴾ [الأعراف: 74]. وقد أكَّد القرآن الكريم سُنَّة الاستخلاف هذه للناس عامةً؛ الذين في عصره؛ إذ جاء القرآن للناس كافة، وكل مَنْ سيقرأ القرآن الكريم بعد ذلك، مُبيِّناً مُقدَّمها وتاليها، وهو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٣ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٤﴾ [يونس: 13-14].

ومن ثَمَّ، فقد أكَّدت الآيات الـمُتقدِّمة -بما لا يَدَعُ مجالاً للشكِّ- أنَّ سُنَّة الاستخلاف الإلهية ثابتة في الأقوام والدول والحضارات؛ فالذين لا يتَّبعون ما جاءت به رُسُلهم سيجزون -نتيجةً لذلك- بالهلاك وزوال دولهم وقوَّتهم وحضارتهم؛ أيْ ما صنعوه من إنجازات مادِّية وغير مادِّية). وفي ضوء مفهوم "المخالفة"، يُمكِن القول: إنَّ الدول والأقوام الذين يتَّبعون ما جاءت به رسُلهم سيدوم استخلافهم في الأرض ما داموا لم يُغيِّروا نهجهم، فإنْ تغيَّروا إلى مخالفة الرُّسُل -التي هي مخالفة أوامر الله وفعْل نواهيه- حلَّ بهم ما حلَّ بمَنْ سبقهم مِنَ بناة الحضارات؛ أيْ أهلكهم الله، واستخلف غيرهم.

والجسور، والمستشفيات، ...)، ومجال المنجزات غير المادِّية (العلوم على اختلافها، والفنون النظرية، والنُّظُم: الإدارية، والمالية، والقضائية، والسياسية، والتربوية ...) (السيد أحمد، 2008، ص73).

والقرآن الكريم قدَّم لنا أمثلة إجمالية تُعرِّف بالأفعال التي هي مُقدِّمات سُنَّة الاستخلاف، وبنتائجها، مثل: إفساد البيئة البَرِّية والبحرية، والظلم، وتجاوز الحدود في التعاملات بين الناس عامةً (الطغيان)، وتقسيم المجتمع إلى شيع وطوائف مُتعدِّدة. أمّا تفصيل هذه الأفعال وبيانها فيحتاج إلى جهود مُتخصِّصة تُحدِّد الشكل والكيفية لكل فعل منها؛ فإفساد البيئة البَرِّية والبحرية -مثلاً- موضوع كبير وواسع، ويحتاج تفصيله إلى معرفة تخصُّصات عِدَّة، لا يُلِمُّ بها الشخص الواحد، ولا بُدَّ فيها من تضافر جهود جميع الـمُتخصِّصين في هذه الجوانب المختلفة.

ويقابل الإفساد في الأرض الإصلاح والعمران؛ أي الاستفادة من جميع موارد الأرض. فتعبيد الطرق لتسهيل حركة الناس عمران، وزراعة الأرض بمختلف الزروع عمران، واستخراج ما في باطنها من معادن أو نفط عمران، واقتلاع الحجارة من جبالها وصخورها وتهذيبها ليُبنى منها البيوت والمساكن والحصون والمدارس والطرق والمستشفيات وغيرها من المرافق عمران، وصناعة الأدوات التي تُسهِّل حركة الإنسان في الحياة عمران، ونشر العِلْم والتعليم عمران، وكل عمل يجعل حياة الإنسان أيسر وأسهل وأجمل عمران. وهذا كله مضاد لمفهوم "الإفساد في الأرض" الذي يستوجب -بحسب سُنَّة الله في الاستخلاف- استبدال قوم بغيرهم وحضارة بأُخرى؛ لينظر الله تعالى كيف تكون أعمال هذه الأقوام الجديدة الـمُستخلَفة في كل ما سخَّره لهم في هذا الكون، وهو داخل في سُنَّة الابتلاء، وحتى لا يكون للناس على الله حُجَّة إنْ لم يقوموا بما كلَّفهم الله به من أعمال فيها خيرهم وكمالهم، فتكون نتائج أعمالهم لازمة منها؛ إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شَرّاً فشَرٌّ.

والثقافة السُّنَنية الـمُتعلِّقة بسُنَّة الاستخلاف لا تقتصر على ما أُشير إليه هنا من معرفة الأفعال التي يحصل بها الإفساد في الأرض ومضاداتها فحسب، وإنّما تمامها يكون بمعرفة أمثلة واقعية على أُمم أفسدت في الأرض فأهلكها الله، وأمثلة واقعية على أُمم أصلحت في الأرض وعمرتها فاستقام لها الاستمرار والحضور الحضاري بالتزامها بالإصلاح والصلاح.

واكتساب هذه الثقافة يحتاج إلى جهود علمية مُتخصِّصة لتعرُّف هذه الأمثلة السابقة وغيرها، وقد نبَّهنا القرآن الكريم إلى طريق اكتساب جانب من ثقافة سُنَّة الاستخلاف، هو السَّيْر في الأرض

والنظر الحِسِّي الذي نجمع بوساطته المعلومات والحقائق، ثمَّ النظر العقلي لاستنباط النتائج والعِبَر والسُّنَن. قال سبحانه: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: 137]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [غافر: 21]. وقوله تعالى: "أشد منهم قوَّةً وآثاراً في الأرض" يشير إلى قوَّة دولتهم وحضارتهم. ومثل هذا المعنى نجده في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الروم: 9]. فهذه الآية الكريمة تُبيِّن مآل (نتيجة) الدول والحضارات التي تُخالِف تعاليم الله سبحانه وتعالى. وفي آية أُخرى بيَّن الله تعالى عاقبة "الذين كرهوا ما أنـزل الله"، "فأحبط أعمالهم"، وحثَّنا على السَّيْر في الأرض، والنظر فيها؛ لنعتبر ممّا جرى لهؤلاء. قال سبحانه: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [محمد: 10]. فقوله تعالى: "وللكافرين أمثالها" تأكيد منه على ثبات سُنَّة الإفساد، وعاقبة مَنْ يكرهون ما أنـزل الله تعالى؛ إذ ستكون عاقبة أمرهم هي نفسها عاقبة مَنْ قبلهم مِمَّنْ فعلوا أفعالهم؛ أعني الإهلاك، واستخلاف غيرهم لهم.

والسَّيْر في الأرض والنظر الحِسِّي والعقلي فيها هو جزء مُهِمٌّ من عِلْم التاريخ والآثار الذي فيه العِبَر لِمَنْ أراد أنْ يعتبر.

وفي ضوء ما تقدَّم، فإنَّنا نُجمِل فهمنا للثقافة السُّنَنية الخاصّة بـ"سُنَّة الاستخلاف في الأرض" بالقول: هي معرفة وبيان أفعال الإفساد التي تؤدّي إلى إهلاك الدول والحضارات، ومضادات أفعال الإفساد؛ أيْ أفعال الإصلاح التي بها تدوم مسيرة الدولة وحضارتها، ومعرفة أمثلة واقعية على دول وحضارات أَفسدت فأُهلِكت، واستخلف الله غيرها مكانها، وأمثلة على دول وحضارات أَصلحت، فاستمرَّت حضاراتها ما دامت مُصلِحة.

خاتمة

اجتهدنا في هذه الورقة العلمية أنْ نُبيِّن -قَدْر الطاقة- حقيقة السُّنَن الإلهية أو فِقْه السُّنَن الإلهية، واجتهدنا كذلك في بيان المقصود بمصطلح "الثقافة السُّنَنية"، وقدَّمنا لذلك أمثلة ممّا ورد في كتاب الله المسطور (القرآن الكريم).

وأوَّل ما وصلْنا إليه هو الفصل بين سُنَن الكون الطبيعية وسُنَن الحياة الإنسانية، وأخذْنا بالرأي الذي يُسمّي الأولى الآيات الكونية، ويُسمّي الثانية السُّنَن الإلهية؛ ذلك أنَّ الأولى تحتاج في بيان حقيقتها إلى العلوم الطبيعية، والثانية تحتاج في بيان حقيقتها إلى العلوم الإنسانية.

ومن أهمِّ ما يُمكِن ذكره هنا من نتائج انتهت إليها هذه الورقة هو إبراز أهمية السُّنَن الإلهية الكبرى في بناء كل مجالات الحياة الإنسانية على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الجماعات، وعلى مستوى الدول والحضارات؛ إذْ هي الـمُرشِد الأوَّل والأساس لكل ما يَلزم البناء الحضاري للأُمَّة من إنجازات مادِّية وغير مادِّية.

وقد تأكَّد لنا أنَّ معرفة حقيقة السُّنَن الإلهية (فِقْه السُّنَن الإلهية) على الوجه الأكمل والأمثل، والمعرفة الوافية بالثقافة السُّنَنية، تبدأ بالبحث في كتاب الله (القرآن الكريم)، ثمَّ إنَّ ذلك يتطلَّب مساندة العلوم الإنسانية جميعها؛ ما يعني الحاجة إلى وجود جهود مُتضافِرة ومُتراكِمة ومُتكامِلة.

وقد أكَّد البحث ترابط السُّنَن الإلهية وتكاملها لفهم آليّات عملها في حياة الناس، وأكَّد أيضاً أنَّ الفهم الأوفى لحقيقة السُّنَن الإلهية يحتاج إلى الوعي بالحقائق الإنسانية الوجودية الأولى وأخْذ مفاهيمها بالاعتبار؛ أعني مفاهيم "الخَلْق"، و"العبادة"، و"الهداية"، و"الابتلاء"، وربط مفهوم "السُّنَن" بمفهوم "الأخلاق" في الإسلام بالمعنى الواسع والشامل.

وكذلك بيَّن البحث أنَّ موضوع الثقافة السُّنَنية هو موضوع واسع جداً، وأنَّ بيانها تفصيلاً يتطلَّب تضافر جهود علمية مُتخصِّصة في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وأنَّ هذه الثقافة السُّنَنية هي جُمْلة ثقافات خاصّة عديدة، وأنَّ مرجعيتها هي ما سمّيناه -في كتبنا وهنا- الثقافة العامّة، وأنَّها

تصلح أنْ تكون عِلْماً مستقلاً مُتفرِّعاً من عِلْم الثقافة الإسلامية (مثل عِلْم مقاصد الشريعة الـمُتفرِّع من عِلْم أصول الفِقْه).

وفي ضوء ما تقدَّم، يوصي الباحث بأمرٍ يراه مطلوباً بشِدَّةٍ؛ لحاجة الأُمَّة إليه، وهو إعلان إنشاء عِلْم مستقل باسم عِلْم السُّنَن الإلهية، وهو أمر دعا إليه عدد من الباحثين قَبْلنا، ويكون ذلك بأنْ تتبنّى مؤسسة فكرية أو جامعة ما هذا المشروع، فتدعو إلى مؤتمر واسع يشارك فيه مُتخصِّصون في العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية، وتُحَدَّد محاور البحث وَفقاً للشروط التي يتطلَّبها إنشاء عِلْم مستقل جديد، وأنْ يَكتب في المحور الواحد أكثر من باحث، وأنْ تُشكَّل لجنة مُتنوِّعة التخصُّصات لاستخلاص النتائج، وصياغة مشروع إعلان هذا العِلْم، وتضمينه كل ما يَلزم من مُسوّغات، ليُطبَع بعد ذلك، يُوزَّع على الجامعات في العالَـم الإسلامي.

المراجع

البطيوي، عزيز (2018). **سُنَن العمران البشري في السيرة النبوية**، عمّان: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2018م.

البوطي، محمد سعيد رمضان (2011). **من سُنَن الله في عباده**، دمشق: دار الفكر.

زيدان، عبد الكريم (1992). **السُّنَن الإلهية في الأُمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية** (طبعات عديدة)، (د.م): مؤسسة الرسالة.

السيِّد أحمد، عزمي طه (2008). **علم الثقافة الإسلامية: مدخل**، عمّان: المؤسسة العربية الدولية للنشر والتوزيع.

عاشور، مجدي محمد (2013). **السُّنَن الإلهية في الأُمم والأفراد في القرآن الكريم: أصول وضوابط**، (د.م): دار السلام.

عرجون، محمد الصادق (1971). **سُنَن الله في المجتمع من خلال القرآن**، (د.م): منشورات العصر الحديث.

ابن فارس، أحمد (د.ت). **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، ج3، القاهرة: مكتبة الخانجي.

فرحات، أحمد حسن (1999). **سُنَّة الله التي لا تتبدَّل ولا تتحوَّل**، عمّان: دار عمّار.

كهوس، رشيد (2010). **السُّنَن الإلهية في السيرة النبوية**، بيروت: دار الكتب العلمية.

كهوس، رشيد (2015). **علم السُّنَن الإلهية: من الوعي النظري إلى التأسيس العملي**، (د.م): مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

الكندي، يعقوب بن إسحق (1987). **في الصناعة العظمى**، تحقيق وتقديم: عزمي طه السيِّد أحمد، قبرص: دار الشباب للنشر والترجمة والتوزيع.

مجمع اللغة العربية (2004). **المعجم الوسيط**، ط4، مصر: د.ن.

المغربي، أيمن بن نبيه بن غنام (2007). **السُّنَن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم (جمعاً ودراسةً)**، (رسالة ماجستير، مكة المكرمة، جامعة أم القرى).

هيشور، محمد (1996). **سُنَن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها**، القاهرة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

References

Al-Biṭīwī, ʿA. (2018). *Sunan al-ʿUmrān al-Basharī fī al-Sīrah al-Nabawiyyah*. Amman: Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

Al-Būṭī, M. (2011). *Min Sunan Allāh fī ʿIbādih*. Damascus: Dār al-Fikr.

Al-Kindī, Y. (1987). *Fī al-Ṣināʿah al-ʿUẓmá* (ʿA. Al-Sayyid Aḥmad, Ed.). Cyprus: Dār al-Shabāb li al-Nashr wa al-Tarjamah wa al-Tawzīʿ.

Al-Mughrabī, A. (2007). *Al-Sunan al-Ilāhiyyah fī Taghyīr al-Mujtamaʿāt fī Ḍaw' al-Qur'ān al-Karīm (Jamʿan wa Dirāsatan)* [Master's thesis, Jāmiʿat Um al-Qurá, Makkah al-Mukarramah].

Al-Sayyid Aḥmad, ʿA. (2008). *ʿIlm al-Thaqāfah al-Islāmiyyah: Madkhal*. Amman: Al-Mu'assasah al-ʿArabiyyah al-Dawliyyah li al-Nashr wa al-Tawzīʿ.

ʿArjūn, M. (1971). *Sunan Allāh fī al-Mujtamaʿ min Khilāl al-Qur'ān*. Manshūrāt al-ʿAṣr al-Ḥadīth.

ʿĀshūr, M. (2013). *Al-Sunan al-Ilāhiyyah fī al-Umam wa al-Afrād fī al-Qur'ān al-Karīm: Uṣūl wa Ḍawābiṭ*. Dār al-Salām.

Faraḥāt, A. (1999). *Sunnat Allāh al-latī lā Tatabaddal wa lā Tataḥawwal*. Amman: Dār ʿAmmār.

Hayshūr, M. (1996). *Sunan al-Qur'ān fī Qiyām al-Ḥaḍārāt wa Suqūṭihā*, Cairo: Al-Maʿhad al-ʿĀlamī li al-Fikr al-Islāmī.

Ibn Fāris, A. (n. d.), *Muʿjam Maqāyīs al-Lughah* (3rd ed.) (ʿA. Hārūn, Ed.). Cairo: Maktabat al-Khānjī.

Kuhooss, R. (2010). *Al-Sunan al-Ilāhiyyah fī al-Sīrah al-Nabawiyyah*. Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

Kuhooss, R. (2015). *ʿIlm al-Sunan al-Ilāhiyyah: Min al-Waʿy al-Naẓarī ilá al-Ta'sīs al-ʿAmalī*. Markiz Jumʿah al-Mājid li al-Thaqāfah wa al-Turāth.

Majmaʿ al-Lughah al-ʿArabiyyah. (2004). *Al-Muʿjam al-Wasīṭ* (4th ed.).

Zaydān, ʿA. (1992). *Al-Sunan al-Ilāhiyyah fī al-Umam wa al-Jamāʿāt wa al-Afrād fī al-Sharīʿah al-Islāmiyyah.* Mu'assasat al-Risālah.

The Jurisprudence of Divine Law (*al-Sunan al-Ilāhiyyah*) and *Sunanī* Culture

Azmi Taha al-Sayyid Ahmad*

Abstract

This study seeks to identify Divine Law (*al-Sunan al-Ilāhiyyah*) and to thoroughly construe its multilateral truth. The Divine Law is a system of overarching laws constituted and accurately designed by Allah (SWT), ruling the different areas of existence. Perpetual, well-integrated, and cohesive, these laws are meant to act as guidelines for mankind, so that life can progress accordingly, uncoerced. The study comprises two sections: a theoretical section that aims to identify, as accurately as possible, the truth of Divine Law, designated as the "Jurisprudence of Divine Law" (*al-Sunan al-Ilāhiyyah*); and a practical section that aims to apply the theoretical part of the Divine-Law (*Sunanī*) culture to real life. The study concludes that there is a distinction between cosmic, natural laws and those regulating human life. It also lays emphasis on the integration and interconnectedness of the Divine Law in order to grasp its operational mechanisms in human life.

Keywords: Divine Law (*al-Sunan al-Ilāhiyyah*), jurisprudence of Divine Law, Divine-Law (*Sunanī*) culture, permanence, constancy, cohesion, integration

*Azmi Taha al-Sayyid Ahmad has a doctorate in Islamic Philosophy and teaches at a number of Jordanian Universities. Email: abutaha.azmi@gmail.com